

اجتهادات ليبرالية تضر بالتنوير وتعبد الطريق للتكفير

أن تكون حدثيا ليس معناه أن تشن معارك تمس بثوابت الدين



المتشددون يقتنعون زلات التقدميين

الدفع إلى الأمام لا الجذب إلى الخلف والتسبب في الجمود والانعطاط. يحاول هذا التيار البناء على جهود من سبقوا، مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وجمال الدين الأفغاني وغيرهم. بهدف التوفيق بين الإسلام وقيم الحضارة الغربية، عبر التأكيد على مرونة الدين الإسلامي الذي يمتلك ثوابت عقائدية يصعب المساس بها، ويحتوي على آراء فقهية بشرية تتغير بتغير المكان والزمان.

تصب جهود التنويريين المخلصين عادة في خلق تيار وسط بين منهجين متشددين، يعبر كلاهما عن وجهة نظر أحادية ضيقة الأفق، أحدهما الأصولية السلفية التي تجنح للتقليد وتقدم آراء الفقهاء على العقل، والآخر منهج الفوضويين الذين يسعون لفرض رؤيتهم للحياة والدين دون شعور بمسؤولية والتزام تجاه المجتمع.

**البعث يفتعل معارك حول
قضايا لا تعبر عن مشروع
فكري متماسك ولا تخدم
أحد سوى التيار المتربص
بالتيار التنويري الجاد**

ويصوغ مثقفون تصورات حديثة مستمدة أيضا من قيم الإسلام التي تدعو إلى التعددية الدينية والحرية الفردية والتعايش الإنساني والتنوع الحضاري وحفظ العهود والمواثيق والنفس، وصيانة الدماء والتخلي بالفضائل الإنسانية من رحمة وعدل وتسامح وأمانة وصدق.

نزع الصورة المشوهة العائدية التي صدرتها الجماعات الأصولية المتطرفة للعالم، والتواصل في ذات الوقت لوجود الإسلام في الحضارة العالمية الحديثة كدين حضارة ورقي سبيله البناء لا الهمم وعمارة الأرض لا خرابها، يفتح المجال للتعامل مع الحداثة كمشروع كوني وليس حالة خاصة بالغرب.

علاوة على أن الحفاظ على ثوابت الدين واحترام قديسيته معتقداته وعباداته وطقوسه يدعم مسار المشروع التنويري كمشروع للأمة، ومن شأنه إذا اعتنق الجمهور المسلم أديباته أن يصبح المنهج الذي تدافع عنه وتسانده الغالبية، وهذا لا يتحقق إذا تواصل التخبط والعشوائية واللجوء إلى تلفيقات وأطروحات صامدة تنسب في النفور من أي مشروع إصلاح

أثبتت الكثير من التجارب أنه لا يمكن حصر الإرهاسات والمعوقات التي ترافق طريق التنوير في العالم الإسلامي في ما نظرحه تشكيلات الإسلام السياسي من جماعة الإخوان والجماعات السلفية من خطابات رجعية فحسب، بل إن البعض من المحسوبين على التيار التقدمي الليبرالي، هم بدورهم ساهموا في هذه التعترات بإطلاقهم بين الفينة والأخرى أطروحات تمس بثوابت الدين وهو ما يعيق فعلا الوصول إلى مرحلة التنوير بل ويعيد الطريق لدعاة التكفير الذين ينتهزون هذه الخطابات لتأليب الرأي العام ضد التوجهات المدنية والعلمانية.

طريقة أفضل من وسم التنويريين بالطلعن في ثوابت الدين، والتركيز على الآراء الفرعية التي لا يتبناها مثقفون حقيقيون، مع الحرص على تعميمها على التيار الليبرالي والقائمين بادوار تنويرية ملحوظة ومؤثرة.

لم ينجح الأوروبيون في تجربتهم الحداثية إلا بعمل جماعي منسق ويجهد واضح، من نتائجها أنه تم التخليط له باحترافية عالية ومنهجية منضبطة، حتى لا يتسبب أي خطأ أو اضطراب في منح الفرص للمتربصين به أو التسبب في خلل بصيب المشروع بالعبط.

ورتب هؤلاء تاريخهم الثقافي حسب القرون، وجعلوا من كل قرن حقبة تتميز بخاصية معينة تجعل منها مستقلة بالية "الحج أشهر معلومات" تفاديا، وفق اجتهاده، للزحام والتكسد المروري، ناهيك عن آراء مناهضة لنهج الأضاحي، وأخرى صائمة بشأن قضايا تدخل في صلب العقيدة وتظعن في ثوابت الدين.

يقتل البعض معارك، عن قصد أو جهل، تدور حول قضايا لا تعبر عن مشروع فكري متماسك ولا تخدم أحد سوى التيار المتربص بالتنويري الجاد، الذي يقبض السلفيون والأصوليون عن وسيلة لتشيويهم وتلوين سمعته وإظهار مقاصد ورؤى رموزه بصورة غير الصورة التي أرادوها.

يبعد هؤلاء في إخراج هذه الآراء من إطارها الضيق، حتى لو عبر عنها صاحبها على صفحاته الشخصية على فيسبوك ونشرها على نطاق واسع، لا بوصفها تخصصه وحده وإنما بحسبانها معبرة عن عموم المثقفين القائمين على الحالة التنويرية، والهدف إحداث بلبلة وإرباك في الرؤية لقضية التنوير المثارة حاليا.

انفضاض قطاع عريض من الجمهور من حول المشروع التنويري الذي يبحث له عن صيغة حضور وتواصل مع اللابيين ممن مورست عليهم عملية تجهيل ممنهجة على مدى سنوات طويلة هدف التيار الغرائبي، ولن يجد



هشام النجار

كاتب مصري

القاهرة - يطلق البعض من المحسوبين على الاتجاه الليبرالي آراء بين الحين والآخر قد تمس بالثوابت الإسلامية، يقتنعها سلفيون وينسبون لها رموز التنوير ككل بغرض تعطيل عربة المشروع التنويري التي بدأت مؤخرا تبرز تقدما في مسيرتها.

أكثر شخص يدعي محمد شبل في مصر يوم عرفه، وطالب بالاجتماع الحجيج فقط في يوم التاسع من ذي الحجة، ويوزع الحج على عدة أشهر مستدلا بالآية "الحج أشهر معلومات" تفاديا، وفق اجتهاده، للزحام والتكسد المروري، ناهيك عن آراء مناهضة لنهج الأضاحي، وأخرى صائمة بشأن قضايا تدخل في صلب العقيدة وتظعن في ثوابت الدين.

يقتل البعض معارك، عن قصد أو جهل، تدور حول قضايا لا تعبر عن مشروع فكري متماسك ولا تخدم أحد سوى التيار المتربص بالتنويري الجاد، الذي يقبض السلفيون والأصوليون عن وسيلة لتشيويهم وتلوين سمعته وإظهار مقاصد ورؤى رموزه بصورة غير الصورة التي أرادوها.

يبعد هؤلاء في إخراج هذه الآراء من إطارها الضيق، حتى لو عبر عنها صاحبها على صفحاته الشخصية على فيسبوك ونشرها على نطاق واسع، لا بوصفها تخصصه وحده وإنما بحسبانها معبرة عن عموم المثقفين القائمين على الحالة التنويرية، والهدف إحداث بلبلة وإرباك في الرؤية لقضية التنوير المثارة حاليا.

انفضاض قطاع عريض من الجمهور من حول المشروع التنويري الذي يبحث له عن صيغة حضور وتواصل مع اللابيين ممن مورست عليهم عملية تجهيل ممنهجة على مدى سنوات طويلة هدف التيار الغرائبي، ولن يجد

حميد زناز

كاتب جزائري مقيم في فرنسا

باريس - بات واضحا لكل متابع لحركة الإخوان المسلمين أنها تمتن خطابا مزدوجا مضوحا. كان الإخوان دائما يقولون شيئا ويفعلون آخر، يحملون في جعبتهم أجنحة مخفية هي الأساس والباقي مجرد خطابات غامضة فضفاضة هدفها تعمية وتضليل الآخر. يلجأ أحفاد حسن البناء حتى إلى الكذب البواح بل إلى اخلقته والتنظير له. كما يفعل إمام مسجد بورود طارق أوبرو ببراعة في كتابه الصادر باللغة الفرنسية "دعوة للمصالحة / الإيمان الإسلامي وقيم الجمهورية الفرنسية". من العنوان يبدو الخطاب إيجابيا يبتغي التوفيق بين الإسلام والجمهورية، ولكن مع توالي الصفحات يتفطن القارئ إلى الخدعة المبيتة إذ لا يتوجه طارق أوبرو إلى القارئ الفرنسي ولا يهيمه ما يدعيه في العنوان من مصالحة بين قيم الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية بقدر ما هو مهتم وموجه خطابه كله إلى الطوائف الإسلامية المتصارعة على الزعامة والامتيازات في فرنسا. يدعو الإسلاميين ومختلف فروعهم العلنية والسرية من أجل الاتحاد وتجاوز الخلافات المذهبية والسياسية كي يكونوا قوة إسلامية واحدة بإمكانها الوقوف سياسيا أمام السلطة الفرنسية بقوة.

تفتح كل الصحف الفرنسية بسارية ويمينية لإمام بورود صفحاتها وتتركه يقدم أكاذيبه دون مواجهته بمن يستطيع توقيفه عند حده أو على الأقل تطرح عليه أسئلة نقدية، عن تصوره الإنشكالي للكذب مثلا في بلد يعيش الشفافية والبحث عن الحقيقة.

لا يتردد الإمام في الحديث عن "الكذب النقي" ويشرح اكتشافه كاتبا "تقتضي الحكمة ألا نقول الحقيقة دائما وألا نقولها لكل الناس. فالله نفسه لم يقل كل شيء".

ويضيف أن "الحقيقة كالدواء، هناك جرعة لا ينبغي تجاوزها، فالحقيقة ليست قادرة على قتل الجسد فحسب، بل هي قادرة على قتل الروح أيضا".

ورغم أنه يكرر دائما أنه لم يعد إخوانيا فهو لم يتغير إطلاقا ولا يزال يستتر تحت حجاب التقية ويعلم بصريح العبارة كاتبا أن "الصدق يعطي شعورا بالثقة. ولكن ينبغي خاصة أن يكون كلمة مصالحة. ومن هنا التساؤل عن الصدق الذي يفرق وعلى العكس، الكذب الذي يصلح. فهل هما أخاقيان؟"

ويوضح سؤاله أكثر قديسيته لدى الجمهور. وتشن على بعض المثقفين حملات دعائية مضادة لتشيويهم والحط من شأنهم واتهامهم بعدم الأهلية أو الإخمية في القيام بهذه المهمة، مقابل طرح أكثر الأفكار تشددا وغلوا وتكفييرا تحت ستار عناوين مخادعة تزعم امتلاك مشروع إصلاح وتنويري، مثل مؤلفات يوسف الفرضاوي وغيره، بل يحمل كتاب لمحمد قطب صاحب المؤلفات التكفيرية التي تقسم العالم إلى دار حرب ودار إسلام وتصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية، وهو شقيق سيد قطب منظر التكفير الأكبر. هذا العنوان "التنوير في العالم الإسلامي".

تستوجب هذه الحالات تبني خطاب تنويري من مثقفين حداثيين لديهم قراءة للشهد الدولي وما يروج فيه من متغيرات، ويتطلب الاقتناع به الاستناد إلى رؤى حضارية ومنطقية متقدمة وتماشيا مع الواقع العام وكل ما ينطوي عليه من تحولات ترمي إلى الحد من الظاهرة الأصولية-التكفيرية.

يستوجب هذه الحالات تبني خطاب تنويري من مثقفين حداثيين لديهم قراءة للشهد الدولي وما يروج فيه من متغيرات، ويتطلب الاقتناع به الاستناد إلى رؤى حضارية ومنطقية متقدمة وتماشيا مع الواقع العام وكل ما ينطوي عليه من تحولات ترمي إلى الحد من الظاهرة الأصولية-التكفيرية.

إمام مسجد يربط في معاقله الإخوانية

في بعض الأحيان، يقول الإمام "يجب عليك إخفاء بعض الحقائق وخاصة حينما يكون هناك احتمال أن تؤدي تلك الحقائق إلى نتائج عكسية أو تسبب اضطرابا. تجربنا الحكمة على عدم قول كل الحقائق". ويضيف مرغا الأخلاق في التراب ومربها من الحقيقة "أخطر ما قد يواجهنا، ليس الكذب البسيط ولا حتى الكذب الدبلوماسي وإنما قول الحقائق كلها". ويضرب مثلا قائلًا "إن الحقيقة قد تحصد أرواحا وقد ينقذ أرواحا".

ولا يتردد الإمام في تبرير نفاق الإسلاميين، فهم ضحية ثقافات شمولية وفقيرة اقتصاديا ويحاول التعميم من أجل التخفيف "نتعلم الكذب منذ نعومة أظفارنا، يتطور الكذب لدى المستضعفين، هو سلاح الضعفاء الذي يكاد يكون دفاعا شرعيا عن النفس".

**طارق أوبرو صاحب كتاب
«دعوة للمصالحة / الإيمان
الإسلامي وقيم الجمهورية
الفرنسية»، يقول أنه لم
يعد إخوانيا لكنه لم يتغير
إطلاقا**

ومن هنا يترك القارئ يستنتج بان أكاذيب الإسلاميين ليست تقية أو تكتيكا وإنما هي نتيجة لإضطهادهم في بلدانهم الأصلية. فانا شخصيا يقول "عشت في هذا المناخ في بلدي الأصلي، المغرب، حيث كانت حرية التعبير محدودة جدا وحينما جئت إلى فرنسا وكنت أذاك منتما إلى جماعة الإخوان المسلمين، بقيت حذرا ولم أفصح عن ذلك الانتماء بسبب الاضطهاد الذي كانت تتعرض له الجماعة ولا تزال بسبب سمعتها المخفية".

وهنا لا يقول الإمام الحقيقة تامشيا مع نظريته سابقة الذكر إذ من الكذب القول بأن جماعة الإخوان مضطهدة في فرنسا وفي الغرب كله، وحتى في البلدان العربية لم تكن مضطهدة بل كانت مشاركة في الحكم في بلدان كثيرة بطريقة أو بأخرى.

أما عن إشارته إلى أنه لم يعد منتما إلى جماعة الإخوان فذلك أمر يكذب التحليل الدقيق لنشاطاته وكتاباته ومواقفه واعتراه هو ذاته في هذا الكتاب حينما يقول بصريح العبارة "لا تجد أبدا شخصا يقول لك إنه أخ مسلم".

والمقارن كل الحق أن يتساءل عما إذا كان للكتاب كاتب واحد أم كاتبان حينما يصل إلى الفقرة التالية أم هي ذهنية الإخوان المزودة بجسدة لدى إمام بورود "أسوأ الأكاذيب هي التي ترتكب باسم الدين"، يقول ويسال عن السبب ويجيب "لأن أساس الدين وخاصة الدين التوحيد هو الفضيلة. ولأن الكذب يقوض أسس أصالة الرسالة الروحية التي يقوم عليها، فالكذب بهذا المعنى خطورة لاهوتية وأخلاقية كبرى".

ويضيف مناقضا ما قال سابقا "لا يتوافق الكذب مع الإيمان".

وبعد صفحات يصبح ميكافيليا متطرفا، يكتب الإمام الإسلامي "الأخلاق ليست جوهرنا وإنما علاقة، وانطلاقا من طبيعة هذه العلاقة تتحدد الأخلاق".

ويوضح "إذا كان الكذب يسمح بتوطيد مصالحة، يصبح أخلاقيا". يكون الفعل أخلاقيا أم لا وفقا لآثاره ووعايقه الإيجابية أو السلبية حسب من يعتمد عليه الفرنسيون في ابتداع إسلاما فرنسيا لهم.

نقرأ طارق أوبرو يطمئن في صفحة نافية أي إشارة إلى احتمال اندلاع حرب أهلية أو حرب حضارات في فرنسا ولكن نجده يهدد في صفحة أخرى كاتبا "كان هناك عنف مصدره اعتماد اللائكية، والبوم يجب إيجاد حل مع الإسلام وتجنب التمزق بين الفرنسيين. يجب فعل كل شيء لمنع حرب بين الفرنسيين المسلمين والفرنسيين الآخرين (الكاثوليك، البروتستانت، الملحدين، اليهود، اللادينيين إلخ)".